العرب
الإثنين 2021/07/05
السنة 44 العدد 12110

الرئيس تبون.. مخاطر الخارج لا تحجب تهديدات الداخل

صابر بليدي
صحافي جزائري

منذ انتخابه رئيسا للجمهورية في ديسمبر 2019 أبدى الرئيس عبدالمجيد تبون تذبذبا في التعاطي مع القضايا الخارجية والداخلية، ورغم مرور نحو عام ونصف العام على اعتلائه قصر المرادية لم يقدم محيطه أيّ حصيلة لبرنامجه الانتخابي وما عرف بـ"الالتزامات الـ 54"، التي تعهد بها أمام أنصاره والمتعاطفين معه خلال حملته الانتخابية.

وإذ وجد تبون في الجائحة الصحية العالمية مشجبا لتعليق تعثرات بداية المشوار الرئاسي، فإن الاضطراب والتفاوت في الاهتمام بالأولويات المطروحة في الساحة يظهر جليا إلى حد الآن.

وإن جرى التركيز منذ تنصيبه على وأد الحراك الشعبي وإنهاء الاحتجاجات السياسية المناهضة للسلطة، فإن الاهتمام في الغالب انصب على المحيط الإقليمي والتوترات الأمنية الإقليمية، بينما تبقى الجبهة الداخلية في حالة غليان مستمر.

وحاول طاقم الرئاسة والأذرع الإعلامية الموالية للسلطة، وحتى خلايا شبكات التواصل الاجتماعي، الاستثمار في أدنى فرص الجهود المبذولة في سبيل التكفل بالانشغالات اليومية الداخلية، وإيجاد مبرر للسقطات والأخطاء المسجلة من طرف السلطة الجديدة، غير أن الواقع المأزوم والتداعيات الثقيلة للأزمة الاقتصادية وجائحة كورونا، غطت على كل شيء يمكن أن يحسب لصالح السلطة.

ويبقى الرئيس تبون، الرئيس الأسوأ حظا مقارنة بأسلافه، فقد تزامن قدومه مع أزمة اقتصادية خانقة، ومع وباء صحي غير مسبوق، فتقلص نشاطه الدبلوماسي، فمنذ تنصيبه لم يغادر البلاد إلا للمشاركة في مؤتمر برلين الأول حول الأزمة الليبية، وإلى أحد مشافي مدينة كولن الألمانية للعلاج من وعكة صحية اضطرّته للمكوث هناك أكثر من شهرين، وسط لغط كبير حول مصيره ومصير السلطة في البلاد.

وباستثناء بعض النشاط الدبلوماسي المحتشم واستقبال وحيد لنظيره التونسي قيس سعيد، فإن الرئيس الجزائري يبقى في بطالة قسرية، رغم مساعي طاقم قصر المرادية لملء الفراغ بخرجات للرئيس على مختلف وسائل الإعلام المحلية والأجنبية بشكل يعبّر عن مواقف الرجل وتصوراته، لكنّ معارضيه يرون بأنه أخفق في ردم الهوة بينه وبين الشارع ولو نسبيا، باتخاذ أيّ من القرارات والتدابير المطمئنة سواء كانت في الشأن السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي.

وفيما يجري تركيز الاهتمام السياسي والإعلامي لدى دوائر السلطة وعلى رأسهم تبون، على المخاطر الأمنية الإقليمية المهددة لاستقرار البلاد وسلامتها، خاصة في الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية، فإن الرجل يبقى منغمسا في خطاب "المؤامرة" منذ تعليق احتجاجات الصيف الماضي على جيوب النظام السابق، إلى غاية تصنيف حركتي رشاد واستقلال القبائل، كمنظمتين إرهابيتين يخضع أنصارهما والمتعاملون معهما والمروجون لهما لقانون مكافحة الإرهاب.

وقبل ذلك كانت السلطة التي يقودها قد أخفقت في تمرير قانون مثير للجدل، كان يستهدف تجريد جزائريين مهاجرين معارضين من جنسيتهم الجزائرية، لكنها كثفت من إصدار مذكرات التوقيف الدولية في حق عدد منهم، بغية تجفيف المنابع المغذية للحراك الشعبي المناوئ لها.

وإذ تحاول الدعاية الرئاسية الاستفادة مما تصفه بـ"مكاسب" السلطة الجديدة بقيادة الرئيس تبون، إلا أنها لا زالت في حرج كبير أمام منتقديها ومعارضيها، بسبب استمرار سلسلة الإخفاقات الداخلية، فالتعهدات التي التزم بها الرجل لا زالت متعثرة إلى حد الآن.

وحتى وعده منذ عام للإعلام المحلي بأنه لن تقطع شبكة الإنترنت مستقبلا حتى خلال امتحان البكالوريا، وتوظيف الحكومة لتكنولوجيات جديدة للحيلولة دون وقع أيّ غش وبقاء تدفق الشبكة، غير أن ما حدث مؤخرا كذّب الرئيس، وعاش الجزائريون أسبوعا دون إنترنت بعد قطعها من طرف الوصاية بسبب الامتحان المذكور، وتكبدت العديد من المؤسسات خسائر كبيرة.

ويقضي الجزائريون منذ 2019، على وقع أزمة مركبة ومتاعب حياتية منهكة، وبات الجزائري منهمكا في البحث عن كيس الحليب ثم الدقيق وبعده فقدان السيولة المالية والزيت الغذائي، ثم الكهرباء والآن الماء، وكل شيء في جزائر تبون، يوحي بأن الصيف سيكون ساخنا أكثر من اللزوم.

فالرجل الذي لا زال يحسب على العسكر، تسير الكثير من الأشياء ضده، بما فيها سلطة القرار والتصرف، وحتى الحكومة التي فرضت عليه في الغالب، لم تكن في مستوى تطلعات أنصار خطاب الجزائر الجديدة، فوزير التجارة الذي توعد بالقضاء على أزمة الحليب في مهلة أسبوع، لم يستطيع فعل شيء إلى لغاية الآن وهو يهم بمغادرة الوزارة بعد عام ونصف العام من الخدمة، وملف السيارات والمركبات المعطل منذ ما قبل 2019، يبقى على حاله رغم أن الوزارة الوصية قد مرّ عليها وزيران.

تبون تحمّل الكثير من وزر حكومتين متتاليتين وها هو بصدد تشكيل حكومة ثالثة، ورغم أنه يتحمل مسؤوليته السياسية والأخلاقية لأدائها، غير أنه اكتفى فقط في أحد تصريحاته بوصف حكومة عبدالعزيز جراد، بحكومة "فيها وعليها"، أي لها ما لها وعليها ما عليها، ولم يحدث أن وجه انتقادا أو انزعاجا يمتص به الغضب المتفاقم ليوظفه أنصار له في إطار "تبييض" صورة السلطة.

وإذ مر ثلث الولاية الرئاسية دون تحقيق أثر ملموس يجسد الخطاب المروّج له، فإن تبون يبقى رهين عزلة سياسية فرضتها عليه مقاطعة شعبية لثلاث استحقاقات انتخابية (الرئاسيات، تعديل الدستور والانتخابات التشريعية)، يحاول تجاهلها بمبدأ "المنصب الحلال"، وهو المصطلح الذي اخترعه رئيس سلطة تنظيم الانتخابات محمد شرفي، عندما سئل عن نسبة المشاركة في الانتخابات.

لكن ضبط عقارب معسكر السلطة، على أكبر حدث لشراء السلم الاجتماعي، يوحي بأن السلطة تراهن على كسر حاجز القطيعة بينها وبين قطاع مهم من الجزائريين، ويتعلق الأمر بتوزيع 100 ألف مسكن بمناسبة الذكرى التاسعة والخمسين لعيد الاستقلال الوطني المصادف للخامس من يوليو.

لكن تراكم الأزمة وتعقيداتها وتداخل الأولويات بين السياسي والاقتصادي، يجعل رهان الرئيس تبون، لفرض "الكاريزما" الرئاسية على المحك، وتحييد البلاد عن انفجار اجتماعي في الأفق سيكون أكبر امتحان له وللحكومة التي يعكف على تشكيلها، كما يبقى الاشتغال على حلحلة الأزمة السياسية ذو أولوية، لأن القبضة الأمنية لا يمكن أن تكون أزلية.

إيران والاتحاد السوفياتي... واليمن

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تكشف الهجمات المستمرّة التي يشنّها الحوثيون (أنصارالله) في كلّ أنحاء اليمن، مع تركيز خاص على مدينة مأرب، مدى تعلّق إيران بالبقاء في اليمن. تعتبر إيران اليمن استثمارا رابحا استطاعت من خلاله إيجاد موقع لها في شبه الجزيرة العربيّة بكلفة قليلة نسبيا. نجحت، أقلّه إلى الآن، حيث فشل الاتحاد السوفياتي سابقا. استطاع الاتحاد السوفياتي إيجاد موطئ قدم في ما كان يعرف باليمن الجنوبي. غيّر نظام الحكم فيه بعد استقلاله عن بريطانيا في العام 1967 بعد انقلابات متلاحقة. سعى من خلال الانقلابات التي توجت بأن أصبح اليمن الجنوبي "جمهورية اليمن الديمقراطيّة الشعبيّة"، في ظل نظام الحزب الحاكم (الحزب الاشتراكي)، لأن يكون قادرا على ممارسة ضغوط في اتجاه الدول العربيّة الخليجيّة من جهة وكلّ منطقة القرن الأفريقي من جهة أخرى.

عزّز الاتحاد السوفياتي وجوده في بلد قريب من منابع النفط في دول الخليج العربي. أصبح ميناء عدن، الذي كان في مرحلة معيّنة من أكبر موانئ العالم بمثابة قاعدة سوفييتية. عزّز وجوده أكثر بعد أن أصبح في إثيوبيا التي بقيت طويلا جرما يدور في الفلك السوفياتي في عهد منغستو هايلي مريام. وحدها الأيّام ستكشف هل سيكون حظ "الجمهوريّة الإسلاميّة" في اليمن أفضل من حظّ الاتحاد السوفياتي. لكنّ الثابت إلى الآن أن ليس في الإمكان الاستخفاف بما حقّقته إيران في اليمن عبر الحوثيين الذين يسيطرون على صنعاء منذ 21 أيلول – سبتمبر 2014... كما يسيطرون على ميناء الحديدة.

ليس ما يدلّ على أهمّية اليمن بالنسبة إلى إيران أكثر من الصواريخ والطائرات المسيّرة التي تطلق يوميا في اتجاه الأراضي السعودية من أجل إثبات أن اليمن بات قاعدة صواريخ إيرانيّة. ليست الصواريخ الإيرانية رسائل إلى المملكة فحسب، بل هي أيضا رسائل واضحة إلى الإدارة الأميركية التي بات مبعوثها إلى اليمن تيموثي ليندركينغ يقول إن الحوثيين موجودون كأمر واقع في أيّ مفاوضات مقبلة في شأن مستقبل اليمن. الحوثيون موجودون على الأرض. هذا أمر لا يستطيع دبلوماسي مثل ليندركينغ تجاهله خصوصا أنّهم يثبتون وجودهم كلّ يوم بطرق مختلفة.

ليس الموضوع موضوع الاعتراف بالحوثيين، الذين هم جزء لا يتجزّأ من الشعب اليمني، بمقدار ما أنّه مرتبط بما حقّقه هؤلاء على الأرض، خصوصا منذ 21 أيلول – سبتمبر 2014 تاريخ سيطرتهم صنعاء. ما سيكون مهمّا مستقبلا هل سيتمكن الحوثيون من إعلان قيام دولة مستقلّة تقع تحت سلطتهم، أي سلطة إيران، في اليمن... أم سيقبلون بأن يكونوا جزءا من صيغة تسوية تشمل اليمن كلّه بشماله وجنوبه ووسطه؟

من الواضح، أن الحوثيين ينفّذون أجندة إيرانيّة في اليمن. كلّ رهان على خروجهم من هذه الأجندة، أقلّه في المدى المنظور، رهان فاشل. الأمر الوحيد الذي يمكن أن يجعلهم يعيدون النظر في مواقفهم، تغيير جذري ذو طابع عسكري في موازين القوى. هذا ليس واردا في المفهوم الأميركي. الأمر الوحيد الوارد في هذه الأيّام منع "أنصارالله" من دخول مدينة مأرب ومحيطها في انتظار بلورة صيغة التسوية التي لا مفرّ من أن تأخذ في الاعتبار كلّ مكونات التركيبة اليمنيّة بتعقيداتها الكثيرة وأبعادها المختلفة.

في انتظار صيغة التسويّة، التي قد ترى النور يوما كما قد لا تراه، من المفيد معرفة لماذا استطاع الحوثيون التحوّل إلى الرقم الصعب في المعادلة اليمنيّة مستفيدين من كلّ التناقضات؟

كان الحوثيون المستفيد الأوّل من الانقلاب الذي نفّذه الاخوان المسلمون على عدوّهم الأوّل علي عبدالله صالح الذي ما لبثوا أن غدروا به في الرابع من كانون الأوّل – ديسمبر 2017. الثابت أن علي عبدالله صالح كان وراء بروز الحوثيين في البداية عندما احتاج إلى ما يوازن به الإخوان المسلمين والحركات الإسلاميّة المتطرّفة الأخرى بعد حرب صيف 1994 مع الحزب الاشتراكي اليمني. افتقد الرئيس الراحل، بعد حرب 1994، لعبته المفضّلة القائمة على التفرج على خصومه يتناطحون في ما بينهم مكتفيا بلعب دور الحكم. لذلك، فتح للحوثيين الذين سمّوا أنفسهم في البداية "الشباب المؤمن" خطا مع إيران. اكتشف متأخّرا أن ولاء هؤلاء صار لـ"الجمهوريّة الإسلاميّة"، فخاض معهم ست حروب بين العامين 2004 و 2009.

بقي الحوثيون محصورين في منطقتهم (صعدة وجوارها) إلى ما قبل 2011 عندما استغلّ الإخوان المسلمون "الربيع العربي" للتآمر على علي عبدالله صالح. عمل هؤلاء، منذ التخلّص من علي عبدالله صالح، على التوسّع في كلّ الاتجاهات. لعبوا كلّ أوراقهم بدهاء ليس بعده دهاء مستغلّين سذاجة الرئيس المؤقت عبدربّه منصور هادي الذي كان لديه هاجس علي عبدالله صالح في كلّ وقت والخوف من الإخوان المسلمين بين حين وآخر.

في مثل هذه الأيّام، قبل سبع سنوات بدأ الزحف الحوثي في اتجاه صنعاء. لم يتصدّ له الرئيس المؤقت الذي كان يسيطر على الجيش، على الرغم من نصائح علي عبدالله صالح. كان ملخّص النصائح أنّه إذا لم يتوقف تقدّم الحوثيين في محافظة عمران، ستكون صنعاء في متناولهم.

في رحلتهم من صعدة إلى صنعاء، التي احتاجت إلى نحو شهرين، غيّر الحوثيون مفاهيم يمنيّة كثيرة. من بين ما غيّروه التركيبة القبليّة في شمال اليمن. قضوا على آل الأحمر، زعماء حاشد واحتلّوا بيوتهم أو هدّموها. قضوا أيضا على نفوذ الإخوان المسلمين في المؤسسة العسكرية عندما أسقطوا اللواء 310 في محافظة عمران واغتالوا، عن سابق تصوّر وإصرار، قائده العميد حميد القشيبي!

انطلاقا من صنعاء بنى "أنصارالله" قاعدة قويّة وثابتة. صحيح أنّ التحالف العربي أخرجهم من عدن والمخا، أي منعهم من السيطرة على مضيق باب المندب، لكنّ الصحيح أيضا أنّ الحوثيين صاروا جزءا من المعادلة اليمنية مستقبلا. هل هم يمنيون أم هم في خدمة إيران؟ هذا هو السؤال الكبير الذي سيطرح نفسه. هذا هو اللغز الذي يواجه المبعوث الأميركي تيموثي ليندركينغ الذي يسعى لاكتشاف اليمن وخباياه. سيحتاج إلى مزيد من الوقت ليكتشف أنّ الحوثيين استثمار إيراني في اليمن لا أكثر وأنّ على الإدارة الأميركية الجديدة أخذ ذلك في الاعتبار في حال كانت تريد بالفعل التعاطي بجدّية مع الموضوع اليمني بتعقيداته التي يصعب تعدادها.

لم يخرج الاتحاد السوفياتي من اليمن الجنوبي قبل أن تظهر بوادر على انهياره من الداخل في العام 1986. هل من أمل في ظهور بداية انهيار داخلي في إيران للكلام عن احتمال خروجها من اليمن يوما؟

هل الحوثيون يمنيون أم هم في خدمة إيران؟ هذا هو السؤال الكبير الذي سيطرح نفسه وهذا هو اللغز الذي يواجه المبعوث الأميركي تيموثي ليندركينغ الذي يسعى لاكتشاف اليمن وخباياه